الشيخ محمد متولي الشعراوي
(١٣٢٩ - ١٤١٩هـ = ١٩١١ - ١٩٩٨م)

إعداد أ/ رمضان ثابت حيدر

يُعَدُّ الشيخ الشعراوي -رحمه الله- عالما بارزا من علماء القرن العشرين، وقامة سامقة بين علماء المسلمين، يُشار إليه بالبنان، ملء السمع والبصر والفؤاد؛ فهو العالم الموسوعي، والأديب الشاعر، واللغوي المفسِّر، والفقيه المجدِّد، ابن الأزهر الشريف، وزير الأوقاف وشئون الأزهر، عضو مجمع البحوث الإسلامية، وعضو مجمع اللغة العربية، ولِمَ لا وقد ملأ الدنيا - رحمه الله - بخواطره الإيمانية وأحاديثه التليفزيونية، التي ضمَّنها عُصارة رحلته العلمية، وثمرة ثقافته الموسوعية.

اسمه ونسبه:

هو الشيخ محمد متولي الشعراوي، ولد عام ١٩١١م بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، لأسرة متوسطة الحال، كريمة المنبت، تنتسب إلى سلالة الحسن والحسين - رضي الله عنهما - وحرص والده على تزويجه مبكرا، وألحقه بمعهد الزقازيق الأزهري، فتخرَّج في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس، وعمل في التدريس في الأزهر، وشارك في العمل الوطني، ودرّس في المعاهد والجامعات في الجزائر والسعودية. قدَّمه الإذاعي أحمد فراج في برنامج: (نور على نور) في أوائل السبعينيات مفسِّرا للقرآن الكريم؛ فوصل بأسلوبه المبسَّط إلى كل شرائح المجتمع، ولقي قبولا واسعا في مصر والعالم الإسلامي.

شيوخه وتلاميذه[(١)]:

تعلم الشيخ الشعراوي على أيدي عدد من الأساتذة والعلماء منهم: أستاذه في المعهد الأزهري بالزقازيق الشيخ إبراهيم حمروش

(١) انظر: موقف الشيخ الشعراوي من قضايا العقيدة، عرض ونقد، رسالة ماجستير للطالب ماجد إبراهيم حمدان، الجامعة الإسلامية بغزة، ص٢٠ - ٢٣، نقلا عن: «الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات» ص٦، و«محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الموسوعي».

شيخ الأزهر سابقا، والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد أحد رواد مدرسة التحقيق العلمي، والشيخ محمد بن مصطفى المراغي شيخ الأزهر سابقا؛ إذ تابع الشعراوي دروسه في التفسير، وغيرهم.

أما تلاميذه فقد تتلمذ على يديه عدد من طلاب العلم منهم: الشيخ الجميلي، وهو طبيب مصري، والشيخ المقرئ محمد صديق المنشاوي، والشيخ سامي محمد متولي الشعراوي، ابن الشيخ الشعراوي، وأمين عام مجمع البحوث الإسلامية سابقا.

المناصب التي تقلدها[٢]:

تدرج الشيخ الشعراوي في تولي المناصب بدءا من مُدرِّسٍ في معهد طنطا الديني ثم معهد الإسكندرية والزقازيق، مرورا بالتدريس في المعاهد والكليات السعودية، ثم مدير للأوقاف بمحافظة الغربية، فمدير عام للدعوة بوزارة الأوقاف، ومدير عام لشئون الأزهر، ورئيس لبعثة الأزهر بالجزائر، ثم قَبِل الشيخ الشعراوي العمل وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر، واتفق مع ممدوح سالم - رئيس الوزراء آنئذ - على أن يكتب مذكرة لرئاسة الجمهورية؛ لتصحيح الأوضاع فيما يتعلق بالعلاقة بين الأزهر والأوقاف، ولم تؤتِ المذكرة ثمارها المرجوّة، ولم يسترح الشيخ الشعراوي للقيود التي تفرضها عليه مهام المنصب، فحاول تقديم استقالته أكثر من مرة؛ لكنها لم تقبل حتى أقيلت الحكومة، وخرج منها بعدما قضى فيها سنتين إلا ٢٨ يوما.

حياته الفقهية:

كانت لدى الشيخ الشعراوي رؤية فقهية واجتهادات علمية في عدد من القضايا العصرية كقضية أطفال الأنابيب، والتبرع بالأعضاء، وفيما يأتي نموذج لموقفه من موضوع نقل مقام إبراهيم لتوسيع المطاف في خمسينيات القرن الماضي، إذ بعث الإمام الأكبر الشيخ حمروش شيخ الأزهر سابقا، الشيخ الشعراوي أستاذا في كلية الشريعة في مكة المكرمة عام ١٩٥٠م، وفي عام ١٩٥٤ علم الشيخ الشعراوي في المملكة أن الملك الراحل سعود بن عبدالعزيز قد عزم على نقل مقام إبراهيم إلى الوراء إلى منطقة (الحصوة) لتوسيع المطاف؛ استنادا إلى مشورة بعض العلماء الذين استندوا إلى أن النبي ﷺ قد نقله سابقا؛ فحاول فضيلته إقناع زملائه في البعثة المصرية ومعارفه من علماء المملكة بأن هذا مخالف للشريعة، وضرورة إيصال الرأي إلى الملك سعود، لكن أحدا لم يُسْعِفْهُ؛ ولم يبقَ على موعد نقل المقام إلى المبنى الجديد - الذي أقيم إلى الوراء على غرار المبنى القديم - إلا خمسة أيام؛ فقرَّر - رحمه الله - مراسلة الملك سعود، يقول الشيخ: «لقد أرسلت برقية من خمس ورقات (فلوسكاب) إلى الملك سعود، عرضت فيها المسألة من الناحية الفقهية والتاريخية، وقلت: إن نقل المقام من مكانه إلى مكان آخر لا يجوز شرعا، وقلت: إن الذين يحتجون بأن رسول الله ﷺ قد قام بنقل المقام، واستندوا إلى ذلك في تبرير عملية النقل قد جانبهم الصواب؛ لأن الرسول ﷺ رسول ومشرع، وليست هذه حجة لكي نستند إليها وننقل مقام إبراهيم من المكان الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ»[٣].

ويضيف الشيخ: «وقلت في برقيتي أيضا: إن

(٢) محمد صديق المنشاوي، «الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات»، ص٧، ٨.

(٣) المرجع السابق ، ص١١٧.

عمر بن الخطاب لم يفعلها عندما وقع «سيل أم نهشل»[٤] وجرف حجر المقام من مكانه بعيدا، وإنه عندما حدث ذلك وعلم به عمر جاء فزعا من المدينة وجمع الصحابة وسألهم قائلا: «أنْشد اللّه عبْدًا عنْده علْمٌ في هذا الْمقام»[٥]، فقال الْمطّلب بْن أبي وداعة السّهْميّ: أنا يا أمير الْمؤْمنين عنْدي ذلك.. لقد أعددت لهذا الأمر عدته». وقام عمر بوضع حجر المقام في موضعه الذي كان عليه في عهد رسول الله ﷺ؛ ولذلك لا يجوز لأحد أن ينقل المقام من مكانه وموضعه الذي وضعه فيه رسول الله»[٦]. وقد وصلت البرقية إلى الملك سعود، وجمع العلماء، وقدم لهم البرقية، وطلب منهم أن يدرسوا ما بها، وينتهوا إلى رأي، وأن يبلغوه به في اليوم التالي، أي: قبل ٢٤ ساعة من الموعد المحدد لنقل المقام. فوافقوا على كل ما جاء بالبرقية، وأيَّدوا ما ذكرته، وقالوا: «إن هذا الكلام لا يُنْقَض» وبعثوا برأيهم هذا إلى الملك سعود، فأصدر أمرا بعدم نقل المقام، ودراسة مقترحات الشيخ الشعراوي.

وكان الشعراوي قد اقترح في برقيته: أن يزال المبنى الذي يوجد فيه مقام إبراهيم؛ لأنه كبير، وهو الذي يسبب الزحام، دون المساس بالمقام نفسه. وأن يبقى فقط الموضع الذي به مقام إبراهيم – وهو لا يشغل سوى مساحة صغيرة لا تزيد على المساحة التي يشغلها شخصان– واقترح أن يُصنع له قبة صغيرة من الزجاج غير القابل للكسر، وأن يظهر المقام للناس تحقيقا للآية الكريمة التي تقول عن بيت الله الحرام:

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾

(آل عمران: ٩٧).

وأنه ليس من المقبول أو المعقول أن نعمل بعكس الآية فنضع (المقام) في مبنى يحجبه عن أعين الناس، فصار المقام على ما هو عليه الآن.

وهنا يقول الشيخ بعد ١٨ عاما قضاها في المملكة أستاذا في كلية الشريعة: «لكن هذا العمل الذي وفقني الله إليه، وهو الإبقاء على مقام الخليل إبراهيم في موضعه، يفوق كل ما قدمت، بل هو عندي بالدنيا وما فيها؛ فالحمد لله»[٧].

ويضيف الأستاذ سعيد أبو العينين مؤلف الكتاب قائلا: «ويصمت الشيخ، ويطول صمته، وتضيء الفرحة وجهه، وهو يتذكر شيئا عزيزا وغاليا ويقول: «بعد يومين اثنين من الأمر الذي أصدره الملك سعود بإيقاف نقل المقام، شرّفني الله، وشرّف عيني برؤية سيدنا إبراهيم الخليل»[٨].

نموذج من ردوده على المستشرقين في تفسير القرآن:

وقف الإمام الشعراوي - رحمه الله - حائط صدٍّ منيع أمام مثيري الشبهات من المستشرقين وأذنابهم، وبقيت خواطره منارة للسائرين على الدرب، تردّ كيد الكائدين، وتفنّد حجج المبطلين، وتقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو

(٤) سمّي بهذا الاسم لأنه ذهب بأم نهشل ابْنة عبيْدة بن سعيد بْن الْعاص، فماتتْ فيه أثناء خلافة عمر.
(٥) انظر: «أخبار مكة للأزرقي» – ج٢ ص٣٣، ٣٤.
(٦) سعيد أبو العينين – «الشعراوي ١٨ سنة في مكة المكرمة» – كتاب أخبار اليوم، ص١١٨.
(٧) المرجع السابق ، ص١١٩.
(٨) المرجع السابق ، ص١٢٠.

زاهق، ولهم الويل مما يصفون، وفي المجال اللغوي جاءت خواطر الإمام حول قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ (الزخرف: ٨٤)

نموذجا في الدفاع عن الكتاب العزيز ولغته الباسلة؛ فبعد أن بين فضيلته معنى الآية وأن صفة ﴿إِلَٰهٌ﴾ ذاتية فيه سبحانه، وأنها صفة كمال لا تفارقه ولا تنفك عنه، لا في السماء ولا في الأرض، وأنه سبحانه ليس له مكان يسعه ولا زمانٌ يحويه؛ لأنه سبحانه خالق الزمان، وخالق المكان، والمخلوق لا يسع الخالق. يقول: «وكان للمستشرقين وقفة عند هذه الآية بسبب تكرار النكرة

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ (الزخرف: ٨٤)

فكلمة ﴿إِلَٰهٌ﴾ نكرة كُرِّرت، والقاعدة اللغوية أن النكرة إذا كررتْ كانت الثانية غير الأولى، كما لو قلت: لقيتُ رجلًا، وأكرمتُ رجلًا، فرجل الثانية غير الأولى. أما المعرفة إذا كُررتْ كانت الثانية هي عيْن الأولى لو قُلت: لقيتُ الرجل فأكرمتُ الرجل، إذن: هو هو. وهذه القاعدة وضعتْنا في إشكال مع هذه الآية، ومنْ يقول بإله في السماء وإله آخر في الأرض؟! وفي حديث سيدنا رسول الله ﷺ ما يُؤكِّد هذه القاعدة؛ لأنه حين قرأ:

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥، ٦)

قال: «لن يغلب عُسْرٌ يُسْرين»[٩] فـ (العُسْر) جاءت معرفة، و(يُسْرًا) جاءتْ نكرة.

وهذه الآية لها معنا قصة مع الناس الدراويش في المسجد الأحمدي بطنطا، ففي يوم من الأيام جاءنا الشيخ محمود شلتوت وكان شيخًا للأزهر ليزور مدينة طنطا، وجاء المسجد الأحمدي ليصلي، وبعد الصلاة سأله الشيخ أبو العينين - وكان أستاذًا للتفسير - وقال له: الحمد لله يا مولانا أنني وجدتك هنا؛ لأنني في درس التفسير أمس وقفتُ أمام الآية:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ (الزخرف: ٨٤)

والقاعدة أن النكرة إذا كُرِّرتْ كانت الثانية غير الأولى؟ وبمجرد أنْ بدأ الشيخ شلتوت في الجواب وقال: «والله العلماء قالوا: إن القاعدة أغلبية...»، عندها دخل رجل لا نعرفه قبل ذلك ولا عرفناه بعدها، وكان عاري الرأس وفي يده عصا، وقال: يا علماء، يا علماء: أنتم نسيتم اسم الموصول (وهُو ٱلّذِي) اسم الموصول معرفة وما بعده صلته، إذن: الكلمة المكررة صلةٌ لموصول واحد، يعني هو هو، ثم انصرف الرجلُ ... وجلسنا نحن لم يتكلم منا أحدٌ لمدة نصف ساعة»[١٠].

«ولهذا نقول لمن وقفوا عند هذه الآية: لا تبحثوا عن النكرة المكررة بمعزل عن الاسم الموصول؛ لأن الاسم الموصول معرفة»[١١].

كلمة الشعراوي للأمة .. وللتاريخ:

شارك الشعراوي في العمل الوطني في مراحل حياته المختلفة، وكانت له مواقف متعددة؛ ومما أثر عنه في أواخر حياته كلمته الشهيرة للأمة جميعا بحضور شيخ الأزهر

(٩) المستدرك على الصحيحين للحاكم، عن الحسن برقم ٣٩٥٠.

(١٠) انظر: خواطر الشيخ الشعراوي حول الآية ٨٤ من سورة الزخرف «تسجيل مرئي».

(١١) انظر: تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم ،ج٦ ص ٣٥٠٣.

الأسبق جاد الحق علي جاد الحق والشيخ محمد الغزالي – رحم الله الجميع – وذلك في اللقاء مع الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك عقب نجاته من حادث أديس أبابا عام ١٩٩٥م وجاء فيها:

«إني يا سيادة الرئيس أقف على عتبة دنياي لأستقبل أجل الله؛ فلن أختم حياتي بنفاق، ولن أبرز عنتريتي باجتراء، ولكني أقول كلمة موجزة للأمة كلها، حكومة وحزبا، ومعارضة ورجالا، وشعبا – آسف أن يكون: سلبيًّا، أريد منهم أن يعلموا أن الملك كله بيد الله، يؤتيه من يشاء، ...، فلا تآمر على الله لملك، ولا كيد على الله لحكم؛ لأنه لن يحكم أحد في ملك الله إلا بمراد الله، فإن كان عادلا فقد نفع بعدله، وإن كان جائرا ظالما بشّع الظلم وقبّحه في نفوس كل الناس؛ فيكرهون كل ظالم، ولو لم يكن حاكما؛ ولذلك... فأنا أنصح كل من يجول برأسه أن يكون حاكما – أنصحه بأن لا تطلبه، بل يجب أن تُطلب له، فإن رسول الله ﷺ قال فيما معناه: «من طُلب إلى شيء أعين عليه، ومن طلب شيئا وُكِل إليه»[١٢]، يا سيادة الرئيس: آخر ما أحب أن أقوله لك – ولعل هذا يكون آخر لقائي أنا بك – إذا كنت قدرنا فليوفقك الله، وإذا كنا قدرك فليعنك الله على أن تتحمل»[١٣].

مؤلفات الشيخ الشعراوي[١٤]:

تجدر الإشارة هنا إلى أن مصنفات الشيخ الشعراوي في معظمها عبارة عن دروس ومحاضرات وخطب وخواطر إيمانية تم بثها عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة أو مقالات نشرت بالصحف، وقام بجمعها المهتمون بها، وصنفت كل موضوع على حدة، وأخرجت على هيئة كتب منسوبة إلى الشيخ الشعراوي، وتنافست دور النشر على طبعها أكثر من مرة، ومن هذه المؤلفات معجزة القرآن، رد على الملاحدة والعلمانيين، المرأة في القرآن الكريم، شبهات وأباطيل، قصص الحيوان في القرآن الكريم، الحج المبرور، قصص الأنبياء، الأدلة المادية على وجود الله، وأهمها على الإطلاق: تفسير الشعراوي، مع مراعاة وجود بعض المغايرة بين النسخة المطبوعة من تفسير القرآن والتسجيل المرئي لخواطر الشيخ الشعراوي.

وختاما:

فقد ظل إمام الدعاة خادمًا للدعوة الإسلامية على أوسع نطاق، وألقى الكثير من المحاضرات في أوروبا وأمريكا وكندا والعديد من الدول الغربية؛ لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وتفنيد الشبهات، حتى لقي ربه في صباح يوم ٢٢ صفر١٤١٩هـ /١٧يونيو ١٩٩٨م، ودفن خلف (مجمع الشعراوي) الذي بناه لأهل بلده دقادوس، وبقيت آثاره الخيرية والاجتماعية صدقة جارية، وترك خلفه من إرث الأنبياء ما لا يقدر على مكافأته إلا الذي خلقه.

---

(١٢) ورد في حاشية السندي على سنن ابن ماجه بمعنى مقارب عن أنس بن مالك برقم ٢٣٠٩، ولفظه: «مَنْ سَأَلَ الْقَضَاءَ وُكِلَ إِلَى نَفْسه، وَمَنْ جُبِرَ عَلَيْه نَزَلَ إِلَيْه مَلَكٌ فَسَدَّدَهُ».

(١٣) انظر: اللقاء الكامل بين الشيخ الشعراوي والرئيس مبارك بحضور شيخ الأزهر آنذاك «تسجيل مرئي».

(١٤) انظر: موقف الشيخ الشعراوي من قضايا العقيدة، عرض ونقد، رسالة ماجستير للطالب ماجد إبراهيم حمدان، الجامعة الإسلامية بغزة، ص٢٥ – ٣٤.